

الظن السيء بالله تعالى
وعلاقته بأصول الاعتقاد

إعداد

أ.د/ علي بن عبدالرحمن القرعاوي
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــــ جامعة القصيم

الظن السيء بالله تعالى وعلاقته بأصول الاعتقاد

علي بن عبدالرحمن القرعاوي

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـــ جامعة القصيم

البريد الإلكتروني: kraaoie@qu.edu.sa

الملخص:

الظن السيء بالله تعالى من أخطر الأدواء القلبية والعملية التي تهدد العقيدة والإيمان في أصلهما أو كمالهما. وحقيقتة؛ ترجيح الاعتقاد الفاسد على الاعتقاد الصحيح في حق رب العالمين. وله تأثيره البالغ في أهم أبواب العقيدة؛ في التوحيد، والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقدر. وقد حذرت نصوص الشرع منه تحذيراً شديداً، ورتبت عليه أشد العقاب وأعظم النكال. سوء الظن بالله مما يتصف المكلف المقصر الذي يساء عمله، كما أن حسن الظن لا يناله إلا المؤمن الذي حسن عمله. يمكن السلامة من سوء الظن بالله تعالى بسؤاله تحقيق الإيمان بكماله في توحيده وأمره وفعله، ومعرفة الله حق المعرفة، وبمداومة العمل الصالح، وتغليب الظن الحسن في حق العباد. أهل السنة والجماعة أبعد الناس عن سوء الظن بما تشهد عليه تقريراتهم وبما يشهد عليه منهجهم في العقيدة والسلوك.

الكلمات المفتاحية : الظن – السيء – القلبية – الاعتقاد – العقيدة.

Bad belief in God Almighty and its relationship to the origins of belief

Ali bin Abdulrahman Al-Qarawi
Department of Faith and Contemporary Doctrines, College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University
Email: kraaoie@qu.edu.sa

Abstract :
Bad thinking of Allah is one of the most dangerous heart diseases that threaten belief and faith in their origin or perfection. The description of this disease lies in favoring the corrupt belief over the correct belief in Allah "the Lord of the Worlds". It has a great influence on the origins of belief in all kinds of monotheism, books and messengers, the Last Day, and destiny. The texts of the Sharia have warned against it with a severe warning, and provided for it the most severe punishment and the greatest penalty. Bad thinking of Allah is the characteristic of the negligent responsible person whose work has gone bad. Good thinking of Allah is only attained by the believer who has done well. It is possible to be safe from the bad thinking of Allah by asking Him to bless you with faith in monotheism, command and action. This is also achieved through knowing Allah in a correct way, persevering in good deeds, and giving precedence to good thinking about people.Sunni Muslims are the most distant people from the bad thinking of Allah, as their reports and their approach to belief and behavior make clear.

Keywords: Suspicion - Bad - Heart - Belief - Belief**.**

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه وخير خلقه، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه، أما بعد؛

فإنه إذا كانت الشريعة الإسلامية قد جاءت بالنهي عن الظن السيء في حق عباد الله المؤمنين ورتبت على الوقوع في ذلك أليم العقاب، فإن النهي فيها آكد والعقاب أشد إذا كان هذا الظن السيء في حق الرب عز وجل ؛ لأنه ينافي اعتقاد كماله وتعظيمه، ومن ثم فهو ينقص كمال الإيمان أو يهدمه بالكلية بحسب درجته –عياذًا بالله– من ذلك؛ ولهذا جعلت النصوص الشرعية الظن السيء بالله عز وجل من أمر الجاهلية ، يقول الله تعالى: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية} [آل عمران : ١٥٤]، بل حكمت عليه بأنه مما لا ينفع صاحبه لكونه من الشك الباطل الذي لا يبلغ إلى الحق واليقين[١] ، يقول سبحانه: {وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون} [يونس : ٣٦] ، وبيّنت أن سوء الظن بالله من صفات أهل النار من المنافقين والكافرين فقال تبارك وتعالى: {ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظنّ السّوء} [الفتح : ٦] .

لذا فقد رغبت بدراسة موضوع الظن السيء بالله تعالى من خلال بيان مفهومه ومعناه، وأدلة النهي عنه، وعلاقته بأصول الاعتقاد وجعلته بعنوان(**الظن السيء بالله تعالى وعلاقته بأصول الاعتقاد**).

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام ابن جرير الطبري (٨٩/١٥).

أسباب اختيار الموضوع:

١-كون الظن السيء بالله تعالى من قوادح العقيدة بما يوجب بيانه والتحذير منه.

٢-أن الظن السيء بالله يدخل في العقيدة من مداخل ربما يغفل عنها كثير من الناس.

٣-انتشار بعض مظاهر الظن السيء بالله في واقع كثير من الناس – مع الأسف – مما يظهر وما يخفى.

أهداف البحث:

١-بيان حقيقة الظن السيء بالله وحكمه في دين الله تعالى.

٢-إبراز أدلة نهي الشريعة عن الظن السيء بالله تعالى.

٣-الكشف عن علاقة الظن السيء بالله تعالى بأصول الاعتقاد.

منهج البحث:

سوف يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي لأجل تتبع النصوص وجمع أقوال أهل العلم في بيان حقيقة معنى الظن السيء مطلقاً ومعنى ومفهوم الظن السيء بالله تعالى تحديداً، كما يعتمد على المنهج التحليلي لأجل بيان علاقة الظن السيء بالله تعالى بأبواب الاعتقاد.

خطة البحث:

قد جعلت هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين وخاتمة.

المقدمة وتشمل تعريفاً عاماً بالموضوع، وبيان أسباب اختياره للدراسة، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطة البحث.

التمهيد ويشتمل على أمرين:

أولاً: تعريف الظن لغة واصطلاحاً، والفرق بين الظن وبين غيره مما يبدو في معناه.

ثانيا: تعريف الظن السيء.

المبحث الأول: الظن السيء بالله تعالى: مفهومه، وأدلة النهي عنه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الظن السيء بالله تعالى.

المطلب الثاني: أدلة النهي عن الظن السيء بالله تعالى.

المبحث الثاني: علاقة الظن السيء بالله تعالى بأصول الاعتقاد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: علاقة الظن السيء بالله تعالى بالتوحيد.

المطلب الثاني: علاقة الظن السيء بالله تعالى بالكتب والرسل

المطلب الثالث: علاقة الظن السيء بالله تعالى باليوم الآخر

المطلب الرابع: علاقة الظن السيء بالله تعالى بالقدر

الخاتمة وتتضمن أبرز النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

ويشتمل على:-

أولاً: تعريف الظن، والفرق بينه وبين ما يبدو في معناه :

١-تعريف الظن لغة واصطلاحا:

الظن لغة: الشك، وهو التردد بين نقيضين، أو هو العلم دون يقين، وجمعه ظنون، و"الظِّنّة": التهمة[(١)].

الظن اصطلاحاً: أن يتقدم ويغلب على الانسان أحد أمرين متناقضين في أمر ما، قال الجرجاني: "الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"[(٢)].

٢-الفرق بين الظن وبين ما يبدو في معناه:

فرّق أهل المعرفة والعلم بالتعريفات والاصطلاحات بين الظن وبين عدد من المعاني التي قد يبدو أنها في معناه. ومن ذلك الفرق بينه وبين الشك والوهم، فقالوا إن الظن هو رجحان اعتقاد بين نقيضين، وأما الشك فهو التردد بين نقيضين بلا ترجيح، بمعنى أنه ما استوى طرفاه لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا رجح أحدهما على الآخر كان ظناً ، وأما الوهم فهو إدراك معنى جزئي متعلق بمحسوس ، أي يُسمى المتقدم الغالب ظناً ، ويُسمى الثاني وهماً ، وإن استوى الطرفان من غير ترجيح سمي شكا[(٣)] ، ويزيدون فيقولون إن الوهم هو القضايا الكاذبة التي يحكم بها في أمور غير محسوسة[(٤)].

وفي الفرق بين الظن والحسبان يقول أبو هلال العسكري: "أصل الحسبان من الحساب، تقول: أحسبه بالظن قد مات، كما تقول: أعده قد مات، ثم كثر حتى سمي الظن حسبانا على جهة التوسع، وصار كالحقيقة بعد كثرة

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٧٢/١٣) ، ومختار الصحاح للجوهري (ص: ١٩٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص: ١٤٤).

(٣) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات للماريني (ص: ١٠٤) ، والمصباح المنير للفيومي ١/ ٣٢٠ .

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ١٢٨).

الاستعمال، وفرق بين الفعل منهما ، فيقال في الظن: حَسِب، وفي الحِسَاب: حَسَب، ولذلك فُرق بين المصدرين فقيل: حَسَب وحُسْبَان"[1].

ثانياً: تعريف الظن السيء:

السيء: هو القبيح، والسيئة: الخطيئة [2]، وعليه فالظن السيء هو رجحان اعتقاد القبيح على الحسن والشر على الخير والنقص على الكمال والتمام على النقص في المظنون به، وبذلك يكون الظن السيء من قبيل الوقوع في الخطأ والخطيئة حيث يغلب على الإنسان اعتقاد السوء فيما – وفي من – حقه اعتقاد الحسن والجميل .

قال الماوردي: (سوء الظن: هو عدم الثقة بمن هو لها أهل)[3]. وقال ابن القيم: (سوء الظن: هو امتلاء القلب بالظنون السيءة بالناس؛ حتى يطفح على اللسان والجوارح)[4]. وقال ابن كثير: سوء الظن؛ هو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله)[5].

---

(١) الفرق اللغوية (٣٤٣/١).

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ٤٣).

٣ / (أدب الدنيا والدين) (١٨٦/١).

٤ / الروح لابن القيم (٢٣٨/١) بتصرف يسير.

٥ / تفسير القرآن العظيم (٣٧٧/٧).

المبحث الأول

الظن السيء بالله تعالى مفهومه، وأدلة النهي عنه، ويتضمن مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الظن السيء بالله تعالى:

لقد سبقت الإشارة في مبحث التمهيد إلى معنى "الظن" هو أنه الجزم بترجيح اعتقاد بين أمرين نقيضين، كذلك سبقت الإشارة في الموضع نفسه إلى المراد بـ"الظن السيء" وهو أنه يعني ترجيح المعنى الأدنى على المعنى الأكمل باعتقاد معاني النقص على الكمال ومعاني الشر على الخير في حق المظنون به، في حين أن حقه ترجيح معاني الكمال على النقص والخير على الشر.

وأما المراد بالظن السيء بالله عز وجل على وجه التحديد؛ **فهو أن يرجّح المعتقِد في حقه – تعالى عما يظن الظانون به ظن السوء علواً كبيراً– معاني النقص على معاني الكمال، وترجيح معاني الشر على معاني الخير في أمره وأفعاله وفي قضائه وقدره.**

وإذا كان اعتقاد السوء بالظن السيء في حق ذوي الكمال النسبي من الخلق قبحاً وأمراً شنيعاً فإن اعتقاده في حق صاحب الكمال المطلق وهو الله جل وعلا من أعظم القبح وأشنعه، وهو أقبح مظاهر الظن السيء والاعتقاد الباطل ، ولئن رتب الشارع الحكيم على الظن السيء بعباد الله المؤمنين العقاب الشديد لما له من الآثار السيئة على الظان نفسه، وعلى علاقته بالمظنون بهم وعلى المجتمع بفسادهم وفشو الشقاق فيهم، فإن الشارع قد رتب على سوء الظن في حق رب العباد تبارك وتعالى من العقاب والعذاب والحساب ما هو أشد وأعظم وأنكى ، لأن مقتضياته السيئة وآثاره السلبية التي تعود على الظان وعلى العقيدة لا تعد ولا تحصى .

إن الظن السيء بالله تبارك وتعالى هو من عدم اعتقاد قدره تعالى حق قدره وما يليق به من الجلال ومعاني الكمال، وهذا الظن الباطل هو من صفات المنافقين والكافرين الجاهلين بالله تعالى وبما يجب له، وليس من صفات المؤمنين المتقين الذين يعرفون ربهم عز وجل حق معرفته ويعظمونه حق تعظيمه ويقدرونه حق قدره.

المطلب الثاني: أدلة النهي عن الظن السيء بالله تعالى:

لقد تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة محذرة من الظن السيء بالله وأن ذلك يُنقص العبادة والإيمان بالله تعالى، ومن ذلك ما يلي:

١- قول الله تعالى: {ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظنّ السّوء} [الفتح : ٦] ، والمعنى : ويعذب أهل النفاق وأهل الشرك الذين يظنون بالله ظناً باطلاً، ومن ذلك ظنهم فيه الإشراك تعالى الله عما يقولون ويصفون ، وظنهم أنه لن ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (١).

٢- قوله جل شأنه: {وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين } [الجاثية: ٣٢] ، فإنه إذا أُخبر الكفار بوعد الله ووعيده ووقوع القيامة كذبوا ذلك وجعلوا غاية معرفتهم فيه الظن الباطل ؛ لأنهم كانوا شاكين متحيرين لكثرة ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من دلائل ذلك ، ولو كانت ظنونهم بالله حسنة لأوصلتهم إلى الإقرار والاعتراف بوعده وبالثواب والعقاب ومجيئ الساعة (٢).

٣- قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه: {ماذا تعبدون * أئفكاً آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين} [الصافات: ٨٥ - ٨٧] ، والمعنى : أيّ شيء تظنون - أيها القوم - أن يصنع بكم ربكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره ، فهو تحذير ووعيد ، مثل قوله تعالى: {ما غرك بربك الكريم} [الانفطار: ٦] ، وقيل معناه : أيّ شيء أوهمتموه حتى أشركتم به غيره ؛ إذ توهموا أن الإشراك بالله سائغ

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢٢٣/٤).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٤١٤/٢٠).

حيث زينه لهم شيطانهم لما ساء ظنهم بالله ، ولو أنهم أحسنوا الظن بالله لما أشركوا به شيئا من الأصنام والأوثان(١).

٤- وقال سبحانه وتعالى : {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون } [الأنعام: ١١٦] ، ومعنى الآية : لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال يا محمد فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم ، وأهلّوا به لغير ربهم ، فإنك إن تطعهم يضلوك عن الحق والصواب ثم قال: {إن يتبعون إلا الظن}، فهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم، وهم يحسبون أنهم على الحق مع أنهم على دين باطل أخذوه بالظن والهوى ولم يأخذوه بالعلم والبصيرة والدليل ، فهم يتخرّصون ويكذبون ، وهذا من سوء ظنهم بالله (٢).

٥- قوله عز وجل : {وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون}[يونس: ٣٦] ، أي ما يتبع الرؤساء منهم إلا حدسا وتخرّصا في أن ما يعبدونه من دون الله تعالى آلهة حقاً وأنها تشفع ، ولا حجة معهم في ذلك على اليقين والبرهان ، وأما أتباعهم فيتبعونهم تقليدا ، وهذا الظن لا يغني من عذاب الله شيئاً ، فالحق هو الله ، وقيل : الحق اليقين ، أي : ليس الظن كاليقين ، وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكتفى بالظن في العقائد ، والله ذو علم بما يفعلون من كفر وتكذيب للحق ومن اتباعهم الظن ، وهو لهم بالمرصاد، إذ لا يُغني عنهم ظنّهم من الله شيئاً ، وهذا للتهديد(٣).

٦- قوله تعالى: {بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزُيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السّوء وكنتم قوماً بوراً } [الفتح: ١٢]،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٩٢).
(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٩/٥٠٩).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٣٤).

والمعنى : يقول تعالى لهؤلاء المعتذرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من سفره بقولهم: {شغلتنا أموالنا وأهلونا} [الفتح: ١١] ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، أي : لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا تخلف عاص ، بل كان تخلف نفاق حيث ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً باعتقادكم أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم ولا يرجع منهم مخبر[١]، والتزيين: التحسين، وهو كناية عن قبولهم ذلك، وإنما جعل ذلك الظن مزيناً في اعتقادهم لأنهم لم يفرضوا غيره من الاحتمال، وهو أن يرجع الرسول صلى الله عليه وسلم سالماً منتصراً، بل كان ظنهم السيء أعم من هلاك أهل الحديبية، وهو ظنهم الباطل بأن يترتب على ذلك استئصال الدين الحق وردة الناس عنه، وهو شأن أصحاب العقول الضعيفة لا يأخذون إلا من الاحتمالات السيءة والاعتماد على موازين المادة، ولكن الله خيّب ظنونهم وهتك أستارهم وكشف أسرارهم[٢].

٧- قوله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً * إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا} [الأحزاب: ١٠، ١١] ، يعني غزوة الخندق ، جاء بنو قريظة للمسلمين من فوقهم وجاءت قريش وغطفان أسفل منهم ، فحفر فوقهم المسلمون الخندق، يقول سبحانه: وتظنون بالله الظنون الظنونا ، إما أن ألف ولام الظنون للاستغراق مبالغة يعني تظنون كل ظن لأن عند الأمر العظيم كل أحد يظن شيئا ، ويمكن أن يكون المراد ظنونهم المعهودة ؛ لأن المعهود من الكافر الظن السوء كما قال تعالى: {ذلك ظن الذين كفروا} [ص: ٢٧] ،

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢٢٥/٤).
(٢) انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٦٤/٢٦).

كما أن المعهود من المؤمن ظن الخير بالله ، عن الحسن قال: "ظنوناً مختلفة : ظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يُستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون "(١).

ففي هذه الآية يظهر موقفان متباينان: الأول موقف المؤمنين الذين ظنوا بربهم الظن الحسن وهو أن الله سبحانه ناصرُ أوليائه كما وعدهم في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن الله لا يخلف وعده مادامت شروط النصر متحققة فيهم، وأما الموقف الثاني فهو موقف المنافقين المبغضين المخذولين المخذِّلين الذين ظنوا بالله ظن السوء بهزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهم يتمنون ذلك لأن الإيمان لم يدخل قلوبهم فهم آمنوا ظاهرا لحاجة في صدورهم .

٨- قوله عز وجل:{وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم} [فصلت: ٢٢، ٢٣]، والمعنى إثبات أنهم كانوا يستترون عند الإقدام على الأعمال القبيحة، إلا أن استتارهم ما كان لأجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وذلك لأنهم كانوا منكرين للبعث والقيامة، لكن ذلك الاستتار لأنهم كانوا يظنون أي يحسبون أن الله لا يعلم الأعمال التي يقدمون عليها من قبائح الأعمال ومساوئها على سبيل الخفية والاستتار، يقول عبد الله بن مسعود، قال: «كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر: قرشي وثقفيان، أو ثقفي وقرشيان، كثير لحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا يسمعه، وإذا لم نرفع لم يسمع، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله. قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٥/١٩).

أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} [فصلت: ٢٢] إلى قوله: {مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٣][(١)].

قال الحسن البصري: "إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة[(٢)]، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: {وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين}، وقال قتادة: من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي. وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ الآية[(٣)].

٩- قوله عز وجل: {ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور} [آل عمران: ١٥٤]، والمعنى: يغشى طائفة من أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل جزم بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله، ولهذا قال:{وطائفة قد أهمتهم أنفسهم} وهم المنافقون الذين ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم: أجبن قوم وأخذله للحق، فهم من حذر القتل وخوف المنية، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية؛ أهل كذب وشك وريب في الله عز وجل حيث ظنوا أن لن

(١) رواه أحمد في المسند (٣٨١/١ - ٤٠٨ - ٤٢٦ - ٤٤٢ - ٤٤٣)، والبخاري بنحوه في (التفسير وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين:(٤٨١٧)، وفي (التوحيد وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم: ٧٥٢١)، ومسلم بنحوه في (صفات المنافقين وأحكامهم:(٧٠٢٩)، والترمذي بنحوه برقم (٣٢٤٨ و ٣٢٤٩)، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب التفسير قوله تعالى: وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم: ١١٤٦٨) (٦ / ٤٥١).

(٢) جامع البيان للطبري (٤١١/٢٠).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٤١١/٢٠).

ينصر الله رسوله عليه الصلاة والسلام، وظن الجاهلية هو الشك في أمر الله، والتكذيب لنبيه صلى الله عليه وسلم، ويحسبون أن الله خاذل نبيه، ومعلٍ عليه أهل الكفر به (١).

ومن السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث" (٢).

قال الصنعاني: (المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظنَّ" سوء الظنِّ به تعالى، وبكلِّ من ظاهره العدالة من المسلمين وقوله: "فإن الظن أكذب الحديث". سماه حديثًا؛ لأنَّه حديث النفس، وإنما كان الظنُّ أكذب الحديث؛ لأنَّ الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمارة، وقبحه ظاهر لا يُحتاج إلى إظهاره. وأما الظن فيزعم صاحبه أنه استند إلى شيء، فيخفى على السامع كونه كاذبًا بحسب الغالب، فكان أكذب الحديث، والحديث وارد في حقِّ من لم يظهر منه شتم ولا فحش ولا فجور)(٣).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) (٤).

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣٥/١٩) ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ٥٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: في كتاب الآداب، باب ما ينهي عن التحاسد والتدابر، حديث رقم (٥١٤٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله حديث رقم (٢٥٦٣).

(٣) انظر: (سبل السلام شرح بلوغ المرام) (٢/٦٦٤-٦٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} ص ١٥٥١ حديث رقم ٧٤٠٥، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى حديث رقم ٢٦٧٥.

المبحث الثاني

علاقة الظن السيء بالله تعالى بأصول الاعتقاد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: علاقة الظن السيء بالله تعالى بالتوحيد:

إن سوء الظن بالله تعالى سبب للشرك في الربوبية وهو أشد من الجحود والإلحاد؛ ذلك أن (المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه... وهذا من أعظم التنقّص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته...، وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشريك، وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يعلّمه الواسطة، أو لا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم ، أو لا يكفى عبده وحده، أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة ، كما يشفع المخلوق عند المخلوق... وهذا أصل شرك الخلق ، أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم حتى يرفع الوسائط إليه ذلك ، أو يظن أن للمخلوق عليه حقا... وكل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها....؛ فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة ، شاء المشرك أم أبى؛ ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته أن لا يغفره وأن يخلّد صاحبه في العذاب الأليم ، ويجعله أشقى البرية ، فلا تجد مشركا قط إلا وهو متنقص لله سبحانه ، وإن زعم أنه يعظّمه بذلك) (١).

ثم إن الله تعالى قد فطر جميع الخلائق على الإقرار بربوبيته سبحانه حتى إن المشركين الذين جعلوا له شريكاً في العبادة يقرون بتفرده بالربوبية كما قال تعالى: {قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون} [المؤمنون: ٨٦- ٨٩] ، وعلى ذلك فإن المشركين هم أحسن ظناً بربهم من جهة ربوبيته ممن أشرك بربوبيته أو أنكر وجوده وإن كانوا مشركين به، ومن ذلك أن فرعون مثلاً أساء الظن

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (٦٣/١).

بإنكار ربه مع أنه كان مستيقناً به في الباطن حيث يقول الله تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً} [النمل: ١٤] (١) ، وكما قال تعالى حاكياً قول موسى عليه السلام لفرعون: {لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر} [الإسراء: ١٠٢].

كما أن من الظن السيء بالله تعالى الانحراف في الأسماء الحسنى والصفات العلى عما يترتب عليها من الدلالات والآثار الجميلة الجليلة مما هو مرتبط بالعلم والحكمة البالغتين التامتين.

فالتعطيل أو التكييف أو التمثيل أو أي وجه من أوجه الانحراف عن هدي الكتاب والسنة هو من سوء الظن بالله تعالى، لأنه ترجيح لاعتقاد النقص في حق ذي الكمال المطلق، فالمسيء به الظن؛ ظن به خلاف كماله المقدس وظن به ما يناقض أسماءه وصفاته ، ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى:{عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً} [الفتح: ٦] ، وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته: {وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين }[فصلت: ٢٣] ، وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم أنه قال لقومه: {ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين } [الصافات: ٨٥ – ٨٧] ، أي فما ظنكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره؟ وماذا ظننتم به حتى عبدتم معه غيره؟ وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره؟ فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المتفرد بتدبير خلقه، لا يشركه فيه غيره ، والعالم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده فلا يحتاج إلى معين، والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من

(١) انظر: عقيدة التوحيد وما يضادها من الشرك للشيخ صالح الفوزان (ص:١٦-١٩)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (ص٦).

الرؤساء، فإنهم محتاجون إلى من يعرّفهم أحوال الرعية وحوائجهم، وإلى من يعينهم على قضاء حوائجهم، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم، وعجزهم، وضعفهم، وقصور علمهم، وما قدّر الرب حق قدره من اعتقد فيه ما لا يليق به، ولا قدّره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العلى، فنفى سمعه وبصره، وإرادته واختياره، وعلوه فوق خلقه، وكلامه، وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد،.... وما قدّره حق قدره من جعله في كل مكان وصانه عن عرشه أن يكون مستوياً عليه... وما قدّره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته، ولا من نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله، ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلاً اختيارياً يقوم به، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه، فنفى حقيقة مجيئه وإتيانه، واستوائه على عرشه، وتكليمه موسى من جانب الطور، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه، إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها، وزعموا أنهم بنفيها قد قدروه حق قدره[(١)].

كما أن الظن السيء بالله تعالى مناف للتوحيد، فمن استعان أو استغاث أو استعاذ بغير الله فقد أساء الظن بالله تعالى إذ لا معين ولا مغيث ولا معيذ على الحقيقة غيره جل شأنه كما قال تعالى:{وإذا مسّكم الضرُ في البحر ضل من تدعون إلا إياه}[الإسراء : ٦٧]، ومن دعا غير الله سبحانه وتعالى وظن أنه يقبل دعاءه فقد أساء الظن به تعالى؛ لأن الدعاء واليقين بالإجابة لا يكون إلا لله كما في الحديث: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)[(٢)]، ومن صلى وزكى وصام وحج أو دعا أو ذبح أو نذر لغير الله قد أشرك وأساء الظن بالله تعالى لأنه صرف العبادة لمن لا يستحقها، والواجب أن تصرف العبادة بجميع أنواعها إلى الله وحده لا شريك له، كما أن من سوء

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم (ص: ١٤٠).

(٢) اخرجه الترمذي في كتاب الدعوات: باب (٦٦) برقم (٣٤٧٩): ، والحاكم (١/ ٤٩٣) من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني لشواهده. وراجع الصحيحة (٥٩٦) وصحيح الجامع (٢٤٣).

الظن بالله مقارفة الشرك الأصغر الذي حذر منه الشارع صيانة للعقيدة وحماية للتوحيد ، وربما جرّ إلى الشرك الأكبر(١)، قال الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون}[البقرة :٢٢]، "والشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان ، هذا كله به شرك"(٢).

ومن الظن السيء بالله أن يقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وهذا من الشرك الأصغر، فعن ابن عباس: أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أجعلتني لله عدلًا؟ قل: ما شاء الله وحده "(٣)، وكالحلف بغير الله -عز وجل- فعن سعد بن عبيدة، أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(٤).

(١) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان (ص: ١١٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٥/١)، وهذا يتوافق مع قوله عليه الصلاة والسلام "الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا" أخرجه البزار. انظر: كشف الأستار ٢١٧/٤ عن عائشة – رضي الله عنها – وسنده ضعيف انظر: الميزان ٢٥٩/٢، وللحديث شاهد عن ابن عباس أخرجه عنه أبو نعيم في الحلية ٣٦/٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢٣٢/٣.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى؛ كتاب عمل اليوم والليلة، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان برقم ١٠٨٢٥، وأحمد في مسنده (٢٩٧/٥)، وابن ماجه، في الكفارات: باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت، برقم (٢١١٧) بلفظ: "إذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت" وهو حديث حسن، وروايته بلفظ: " أجعلتني لله ندا " من رواية ابن مردويه، والمعنى واحد. انظر " الأحاديث الصحيحة" رقم (١٢٩).

(٤) أخرجه الترمذي: في النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء برقم (٣٢٥١)، وأحمد (٢/٢،٣٤/٢،٨٦/٢،٩٨/٢،١٢٥/٢،١٤٢/٢)، ومالك: في كتاب النذور والأيمان برقم (١٠٣٧)، والحاكم في المستدرك (٣٣٠/٤).

ومن الظن السيء بالله فعل الرياء وهو من الشرك الأصغر أو ما يسمى بالشرك الخفي، وهو شرك النيات والمقاصد، قال الله تعالى:{قل إنما بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً} [الكهف : ١١٠]، ف" كما أن الله واحد لا إله سواه؛ فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له؛ فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية؛ فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء"(١).

ومن الظن السيء بالله أن يريد الإنسان بعمله الدنيا، وهذا من أنواع شرك النية والقصد الذي ينافي كمال التوحيد ويحبط العمل، قال الله تبارك تعالى: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون}[هود : ١٤، ١٥].

قال العلامة ابن القيم: "ومن ظن أن له -أي لله تعالى- ولداً أو شريكاً، أو أن أحدا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه.... فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه. ومن ظن أنه ينال ما عنده سبحانه بمعصيته ومخالفته كما يناله بطاعته والتقرب إليه فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء. ومن ظن به أنه إذا ترك لأجله سبحانه شيئاً لم يعوضه خيراً منه أو من فعل لأجله شيئاً لم يعطه أفضل منه، فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أنه يغضب سبحانه على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرع إليه وسأله، واستعان به وتوكل عليه أنه يخيّبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله. ومن ظن به أنه يثيبه إذا عصاه بما يثيبه به إذا أطاعه،

(١) الجواب الكافي لابن القيم (ص:١٣٢).

وسأله ذلك في دعائه فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله. ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه، وَأَوْضَعَ في معاصيه ثم اتخذ من دونه وليا، ودعا من دونه ملكا أو بشرا حيا أو ميتا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء، وذلك زيادة في بعده من الله وفي عذابه"(١).

ويمكن إيجاز كثير من مظاهر علاقة سوء الظن بالله تعالى بالتوحيد بما يلي:

١- منافاة سوء الظن بالله للعبادة ؛ حيث إنه من المعاصي والكبائر ، كما أن حسن الظن عبادة من العبادات القلبية ومن أعمال العباد ، فسوء الظن بالله منافي للإيمان أو لكماله الواجب فينقص إيمان المرء كلما ساء ظنه بالله تعالى .

٢- منافاته للاستجابة لأمر الله ورسوله ؛ فإن الله تعالى قال : {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}[الأنفال : ٢٤]، فمن لم يستجب لله ولرسوله فقد ساء ظنه به سبحانه، ولقد كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الظن السيء الباطل في أحاديث كثيرة، منها قوله: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: "أنا عند ظن عبدي بي"(٣)، وفي الحديث الآخر: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"(٤)؛ فالمؤمن العامل يحسن الظن بالله مع إحسان العمل، والمقصر المسيء أساء الظن لإساءته العمل، وإن الأمن من عقاب الله سوء ظن به عز وجل، وذلك أن الفاجر الذي يغشى الكبائر واستوحش قلبه بالظلمات ولم يتب فقد هرب

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١٠٨/٢ وما بعدها).

(٢) سبق تخريجه في ص ١٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} حديث رقم (٧٤٠٥)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء ن باب (الحث على ذكر الله)، حديث رقم (٢٦٧٥).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم (٦٥٠٧، ٦٥٠٨)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب (من أحب لقاء الله ...)، حديث (٢٦٨٣-٢٦٨٦) .

من إحسان الله وعمل بأسباب مقته وعذابه في الآخرة، وإن عوتب في حاله فتحجج برحمة الله وإحسانه فهو كاذب في دعواه ولا يسمى عمله حسن ظن بل غرور لأنه طلب الإحسان بالتمني وعمله يكذب قوله وظنه(١).

٣- منافاته للخوف والرجاء اللذين هما علامة على توسط المؤمن بين الأمن من مكر الله واليأس من روح الله بما يحقق حسن الظن مع حسن العمل(٢)؛ إذ لا يجمع بين الخوف والرجاء إلا من أحسن الظن بربه ووثق بوعده ووعيده ، وأما تغليب أمر على آخر فهو من سوء الظن بالأمن أو باليأس ، {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[يوسف: ٨٧]. وقد بيّن ابن القيم العلاقة بين سوء الظن بالله والغرور فقال: "وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية : فهو رجاء صحيح ، ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطاً : فهو المغرور " (٣).

٤- منافاته للتوكل ؛ فلا يُتصور التوكل ولا يتحقق ممن ساء ظنه بالله تعالى، وحقيقة التوكل هي "أن يعتمد العبد على الله سبحانه وتعالى اعتماداً صادقاً في مصالح دينه ودنياه مع فعل الأسباب المأذون فيها"(٤). فكيف بمسيء الظن أن يتوكل على من أساء الظن به؟ وإنه "على قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، ولذلك فسّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، والتحقيق أن حسن الظن بالله يدعو العبد إلى التوكل

(١) انظر: "حسن الظن بالله"، مقال لخالد بن سعود البليهد، موقع صيد الفوائد:
http://www.saaid.net/Doat/binbulihed/230.htm
(٢) شرح الطحاوية (٢/٤٥٦). .
(٣) الجواب الكافي (ص٢٤).
(٤) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول للشيخ عبدالله الفوزان (ص:٨٣).

عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ، ولا التوكل على من لا ترجوه)[١].

٥- أن سوء الظن بالله من الطيرة والشؤم ، وإذا كان مطلق سوء الظن شؤماً وطيرة فكيف في حق من له الكمال المطلق وبيده الأمر كله ؟ ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطيرة والشرك لأنهما من الشرك كما أن الفأل الحسن من التوحيد، فعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة"[٢]، وفي رواية : "الكلمة الصالحة"[٣].

فالطيرة تكون فيما يُكره وأما الفأل فيكون فيما يستحب، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء ، ومن العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضا، قال أبو زيد: تفاءلت تفاؤلا، والذي يسوء ويكره من الفأل هو الشؤم[٤]. قال الحليمي: "التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال"[٥] ، فالطيرة سوء الظن بالله وتوقع البلاء، ويحب على الإنسان أن يكون لله تعالى راجياً ، وأن يكون حسن الظن بربه ، فمن ساء ظنه بالله فلا يبعد وقوعه في الطيرة وغيرها.

٦- الابتداع في الدين ، وفي هذا تنقص للرسول صلى الله عليه وسلم وإساءة له واعتقاد بأنه لم يكمل الإسلام، وطعنٌ بالدين والله سبحانه وتعالى يقول: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١٢١/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، حديث رقم (٥٧٧٦) ومسلم، كتاب السلام، حديث رقم (٢٢٢٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب (الطب): باب الطيرة، حديث رقم (٥٧٥٤) وفي باب الفأل برقم (٥٧٥٥)، ومسلم في (السلام): باب الطيرة والفأل، حديث رقم (٢٢٢٣).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥١٣/١١) ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٠٥/٣).

(٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص:٣٧٢).

ديناً}[المائدة: ٣] ، يقول ابن القيم : "كما أنك لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة. فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله. فالمتنقصون عند الله تعالى ورسوله وأوليائه هم أهل الشرك والبدعة، ولا سيما من بَنَى دينه على أن كلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد اليقين، ولا تغنى من اليقين والعلم شيئا. فيالله للمسلمين، أى شيء فات من هذا التنقص؟"(١).

٧- الانقطاع عن الدعاء، حيث إن كثيراً من الناس يسيء الظن بربه ، يقول : دعوت كثيراً فلم يستجب لي فينقطع عن الدعاء وما علم أن الله ربما منع عنه شراً في الدنيا أو ادخر له خيراً في الآخرة بدعائه فتعجّل في الظن وترك الدعاء ، وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل، قالوا: يا نبي الله وكيف يستعجل قال: يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي"(٢).

المطلب الثاني: علاقة الظن السيء بالله تعالى بالكتب والرسل:

إن من مظاهر الظن السيء بالله تعالى عدم الإيمان بكتب الله ورسله؛ حيث إن ذلك يتضمن الظن بأنه – تعالى عن الظنون الباطلة – ترك العباد هملاً ولم يدلّهم عليه ويبيّن لهم ما يقربهم إليه وما يحقق لهم الفوز برضوانه والنجاة من عذابه، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الناس كافة، كما في قوله سبحانه: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤]، وقوله عز وجل: {نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب وأنزل التوراة

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٦٣/١).

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٠/ ٣١١ برقم (١٣٠٠٨)، قال المحقق: صحيح لغيره. وفي مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٠، وفيه أبو هلال الرّاسبي، وهو ثقة وفيه خلاف، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصّحيح، وفي الترغيب ٢/ ٤٨٧ (٢٤٥٧): رواته محتجّ بهم في الصحيح إلّا أبا هلال. ومثله في إتحاف الخيرة ١/ ٤٠٥ (٨٢٩٣). وينظر مسند أبي يعلى ٥/ ٢٤٨ (٢٨٦٥).

والإنجيل} [آل عمران : ٤]، وقوله تبارك وتعالى : {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله}[البقرة :٢٨٥]. وفي هذا يقول العلامة ابن القيم: "وكذلك ما قدره حق قدره من قال: إنه لم يرسل إلى خلقه رسولا ولا أنزل كتابا، بل نسبه إلى ما لا يليق به ولا يحسن منه، من إهمال خلقه، وتضييعهم، وتركهم سدى، وخلقهم باطلا عبثا"(١).

المطلب الثالث: علاقة الظن السيء بالله تعالى باليوم الآخر:

اليوم الآخر : هو يوم القيامة الذي يبعث الله الناس فيه للحساب والجزاء، وإن من لم يؤمن بهذا اليوم العظيم فقد أساء الظن بربه حيث اعتقد أنه سبحانه خلق الخلق بلا غاية وأنكر أن له رباً يحاسبه ويجازيه وغفل عن قول الله تعالى: {إنَّ إلينا إيابهم * ثم إنَّ علينا حسابهم} [سورة الغاشية: ٢٥، ٢٦]، وأنكر قوله عز وجل: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}[سورة الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) [سورة المؤمنون: ١١٥]، يقول العلامة القرطبي: "وقد رد الله سبحانه وتعالى على الذين أساءوا الظن به فأنكروا البعث بقوله تعالى: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا} أي ظنوا ، والزعم هو القول بالظن. وقال شريح: لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا.. (٢) قل: {بلى وربي لتبعثن} : أي لتخرجن من قبوركم أحياء ، {ثم لتنبؤن} : لتخبرن، {بما عملتم} : أي بأعمالكم ، {وذلك على الله يسير} ، إذ الإعادة أسهل من الابتداء"(٣).

كما أن في اعتقاد عدم الجزاء والحساب والقيام لرب العالمين إنكاراً للأحاديث الكثيرة المتضافرة الدالة على الجزاء والحساب.

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم (ص: ١٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" ٨/ ٤٥٨ (٢٦١٩٢)، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" ٦/ ١٤١ من طريق الأعمش عن شريح، به. وصحَّ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "بئس مطية الرجل زعموا". انظر في تخريجه "المقاصد الحسنة"، (٣٠٨)، "السلسلة الصحيحة" للألباني (٨٦٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٣٥).

ومن صور الظن السيء بالله في باب الآخرة أن ييأس العبد من روح الله ويقنط من رحمة الله ويغلِّب عذابه على مغفرته، قال تعالى: {ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[يوسف: ٨٧] وقال عز وجل: {قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون} [الحجر: ٥٦].

كما أن من لا يؤمن بالجنة والنار فقد أساء الظن بربه حيث أنكر أن له ربا يدخله الجنة ويباعده عن النار إن هو أحسن العمل فلا يرجو ثواب ذلك اليوم ولا يرهب فعل المعصية، ويرضى بها(١).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبيّن لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء"(٢).

المطلب الرابع: علاقة الظن السيء بالله تعالى بالقدر:

يظهر الظن السيء بالله عز وجل في باب القدر في كون عدم الإيمان بقضاء الله وقدره خيره وشره، حلوه ومره ترجيح لاعتقاد الشر على الخير فيه، وهو من التشهي في الإيمان بحيث إن وقع على الظان الخير رضي وإن وقع عليه الشر سخط، وهذا مخالف لحقيقة الإيمان وصحيح معنى اليقين والرضا بالله تعالى، وفي الصحيح أن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٣).

ومن وجه آخر فإن من ساء ظنه بربه فإنه لم يؤمن بمراتب القدر الأربع وهي العلم والكتابة والخلق والمشيئة، وإن من أعظم صور الظن السيء بالله عدم الإيمان بعلم الله تعالى، وذلك باعتقاد أن الله لا يعلم كل شيء جملة أو تفصيلاً ماضياً أو مستقبلاً مما يجري في الكون من أفعاله أو أفعال عباده

---

(١) نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد العثيمين (ص٥٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٢٠٦).

(٣) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة حديث رقم (٨).

أو مفعولاته، وأن علمه ليس محيطاً بكل شيء، مخالفاً قوله تعالى : {وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً} [الطلاق :١٢] .

ومثل ذلك في سوء الظن عدم الإيمان بكتابة الله تعالى للمقادير، بحيث يعتقد المعتقد أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ مخالفاً قوله تعالى {ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض} [الحج : ٧٠] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)(١).

كما أن من الظن السيء بالله تعالى عدم الإيمان بمشيئته بحيث يظن الظان أنه ليس له المشيئة النافذة والقدرة الشاملة، ولا أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا أن الحركة والسكون والهداية والإضلال كلها تكون بمشيئته سبحانه مخالفاً قوله تعالى: {وربك يخلق ما يشاء ويختار} [القصص :٦٨]، وقوله تعالى: {ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين} [التكوير : ٢٩].

ومن الظن السيء الباطل بالقضاء والقدر كذلك عدم الإيمان بأن الله تعالى هو خالق المخلوقات وأفعالها، بحيث يعتقد سيئ الظن أن هناك خالقاً مع الله سبحانه وتعالى أو أنه ليس الله وحده الخالق لجميع الكائنات بذاتها وصفاتها وحركاتها وأفعالها ومن ذلك أفعال الإنسان الاختيارية مخالفاً بذلك قوله تعالى: {ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه} [الأنعام :١٠٢]، وقوله تعالى: {الله خالق كل شيء} [الزمر :٦٢].

ومما يتصل بهذا من إساءة الظن بالله في القدر أن يظن العبد أن الخلق قد ينفعونه أو يضرونه بشيء من دون أن يريد الله ذلك مخالفاً قول الله عز وجل: {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا} [التوبة :٥١]، وقوله: {قل كل من عند الله} [النساء: ٧٨]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك،

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٣).

ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[1].

ومنه كذلك عدم حرص المكلف على ما ينفعه وألا يستعين بالله سبحانه، وعجزه عن العمل والتمني بلو، وفي الحديث: "وإذا أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[2].

ومن صور الظن السيء بالله في باب القضاء والقدر: الاعتراض والتضجر والتشكي من القدر كأن يقول الإنسان إذا أصابته ضراء: يا رب لِمَ أصبتني بكذا؟ أو أنا ماذا عملت؟ أو أنا لا أستحق هذا البلاء... ونحو ذلك من عبارات التسخط والاعتراض على القدر، ومن حكمة هذا أن يختبر الله المؤمن عن غيره في الرضا والسخط، يقول سبحانه تعالى: {وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو هل لنا من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ولبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور} [آل عمران :١٥٤]، حيث " أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم: {هل لنا من الأمر من شيء} وقولهم: {لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا} فليس مقصودهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله إلى الله، ولو كان ذلك مقصودهم لما ذُموا عليه، ولما حسن الرد عليه بقوله: {قل إن الأمر كله لله} ولا كان مصدر الكلام ظن الجاهلية، ولهذا قال غير واحد من المفسرين: إن ظنهم الباطل ها هنا: هو

---

(١) رواه: أحمد في "المسند" (١/ ٢٩٣، ٣٠٧)، والترمذي (أبواب صفة القيامة، باب "ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ٢٠٣/٧) – وقال: "حديث حسن صحيح".

(٢) أخرجه مسلم؛ في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤).

التكذيب بالقدر وظنهم أن الأمر لو كان إليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبعا لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل، ولكان النصر والظفر لهم فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية، وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذي لم يكن بد من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه، وأن الأمر لو كان إليهم لما نفذ القضاء، فأكذبهم الله بقوله: {قل إن الأمر كله لله} فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره، وجرى به علمه وكتابه السابق، وما شاء الله كان ولا بد، شاء الناس أم أبوا، وما لم يشأ لم يكن، شاءه الناس أم لم يشاؤوه، وما جرى عليكم من الهزيمة والقتل فبأمره الكوني الذي لا سبيل إلى دفعه، سواء كان لكم من الأمر شيء أو لم يكن لكم، وأنكم لو كنتم في بيوتكم وقد كتب القتل على بعضكم لخرج الذين كتب عليهم القتل من بيوتهم إلى مضاجعهم ولا بد، سواء كان لهم من الأمر شيء أو لم يكن، وهذا من أظهر الأشياء إبطالا لقول القدرية النفاة الذين يجوّزون أن يقع ما لا يشاؤه الله، وأن يشاء ما لا يقع"(١).

إنه لم يقدر الله تعالى حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلّقها بأفعال عباده فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب، فيكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون! تعالى الله عن قول أشباه المجوس علواً كبيراً، وكذلك ما قدره حق قدره من قال: إنه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ، ولا له عليه قدرة ، ولا تأثير له فيه ، بل هو نفس فعل الرب جل جلاله، فيعاقب عبده على فعله، وهو سبحانه الذي جبر العبد عليه، وجبرُه على الفعل أعظم من إكراه المخلوق للمخلوق. وإذا كان من المستقر في الفطر والعقول أن السيد لو أكره عبده على فعل، أو ألجأه إليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحا، فأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؛ كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير؟ ولا هو واقع

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/٢١٢).

بإرادته، بل ولا هو فعله البتة، ثم يعاقب عليه عقوبة الأبد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [(١)].

ومنه كذلك الظن بغياب حكمة الله في الابتلاء والاختبار، ووجه ذلك أن يعمل الرجل بالتقوى واتباع الكتاب والسنة ومع ذلك يبتلى ويمنع من الدنيا أو يصاب بالأمراض ويرى أهل المعصية قد بسط لهم في الرزق والصحة وعجلت لهم طيباتهم فيسيء الظن بربه ويترك العمل الصالح ويطيع الشيطان، ولو علم العبد أن الله قضى عليه ذلك لحكمة وأنه لا تلازم بين التقوى وبسط الرزق والصحة وأن الله اختار لنبيه الفقر وأنّ عطاء الله في الآخرة أعظم؛ لما أساء الظن بربه.

ومن سوء الظن بالله تعالى أيضاً الظن بأن الغلبة للكفر وأهله وأن الخسارة ودائرة السوء لحزب الإيمان وأن الباطل منتصر على الحق ، فيظن بالله ظن السوء ، وكل من ظن أنّ الغلبة تكون للكفار على عباد الله المؤمنين وأن المؤمنين خاسرون مغلوبون من الكفار في سائر الأوقات والأحوال ولو عملوا بأسباب النصر، أو أن الدين لن تقوم له قائمة فقد أساء الظن بربه، وشابه المنافقين في اعتقادهم وبات قلبه على شعبة من شعب النفاق والعياذ بالله تعالى ، وفي هذا يقول ابن القيم –رحمه الله–: "فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائه ويظهرهم عليهم وأنه لا ينصر دينه وكتابه وأنه يُديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق، إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبداً، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه"[(٢)].

---

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم (ص: ١٤٠).
(٢) زاد المعاد (٥/٢٠٥).

وقد يكون سوء الظن بالله عز وجل في باب القدر مرتبطاً بوصف ما من صفات المكلف مثل صفة الجبن، ولهذا "كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الجبن(١)، ولذلك كان الجبن خلقاً مذموماً عند جميع الخلق ، وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله، وأما أهل الشجاعة والجود فهم أهل حسن الظن بالله... والشجاعة جُنّة للرجل من المكاره والجبن إعانة منه لعدوه على نفسه فهو جند وسلاح يعطيه عدوه ليحاربه به وقد قالت العرب: الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة، وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنهم أن جبنهم ينجيهم من القتل والموت فقال الله تعالى: {قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل} (الأحزاب: ١٦)...واعتبر ذلك في معارك الحروب بأن من يقتل مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلاً، وفي وصية أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد رضي الله عنهما: "احرص على الموت توهب لك الحياة(٢)، يقول خالد بن الوليد رضي الله عنه: "حضرت كذا وكذا زحفاً في الجاهلية والإسلام وما في جسدي موضع إلا وفيه طعنة برمح أو ضربة بسيف وها أنا ذا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء(٣)، ولا ريب عند كل عاقل أن استقبال الموت إذا جاءك خير من استدباره"(٤).

---

(١) كما في حديث أنس بن مالك، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبخل، وَأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات" رواه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يتعوذ من الجبن (٢٨٢٣)، ومسلم في كتاب: الدعوات، الذكر والدعاء، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره (٦٨١٢).

(٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (رقم ٦٧١- بتحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان ومحمد بن زكريا أبو غازي، قال: قال سفيان: وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لخالد بن الوليد -رحمه الله-: وذكره. وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٧٣)، وسنده ضعيف جدًّا، فيه علَّتان: الأولى: الواقدي، وهو متروك، والثانية الانقطاع، والثابت عنه أنه قال حين حضرته الوفاة: (لقد طلبت القتل مظانه، فلم يقدَّر لي، إلا أن أموت على فراشي ...)، أخرجه الطبراني، وابن عساكر في تاريخه (١٦/ ٢٦٩) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٥٠): "وإسناده حسن". وهو كما قال.

(٤) الفروسية لابن القيم (ص: ٤٩١).

فكل ذلك من سوء الظن بالله الذي ينزه عنه الله جل جلاله وتباركت ذاته وتقدست أسماؤه وصفاته.

بقي أن أشير إلى أن من سوء الظن بالله تعالى كذلك ما يتعلق بتعامل المكلف مع إخوانه المؤمنين ، ومنه الظن السيء بعباد الله المؤمنين؛ لأنه يورث الكذب، كما أن سوء الظن بالمؤمنين ذريعة للوقوع في الغيبة والنميمة والتجسس على أعراض المسلمين ، ولهذا قال الله تبارك وتعالى – بعد أن حذر سبحانه من اجتناب الظن السيء بالمؤمنين أعقبه بالتحذير من هذه الصفات الذميمة –: {يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم} [الحجرات : ١٢]، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظن فإنه أكذب الحديث"(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في معناه: "قوله: إياكم والظن، قال الخطابي وغيره: ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالبا بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وقال القرطبي: المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، ولذلك عطف عليه قوله ولا تجسسوا وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة فيريد أن يتحقق فيتجسس ويبحث ويستمع فنهى عن ذلك وهذا الحديث يوافق قوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن فإن قال الظان أبحث لأتحقق قيل له ولا تجسسوا فإن قال تحققت من غير تجسس قيل له ولا يغتب بعضكم بعضاً...، أما وصف الظن بكونه أكذب الحديث مع أن تعمد الكذب الذي لا يستند إلى ظن أصلاً أشد من الأمر الذي يستند إلى الظن فللإشارة إلى أن الظن المنهي عنه هو الذي لا يستند إلى

---

(١) رواه البخاري حديث رقم (٦٠٦٤).

شيء يجوز الاعتماد عليه فيعتمد عليه ويجعل أصلا ويجزم به فيكون الجازم به كاذبا وإنما صار أشد من الكاذب لأن الكذب في أصله مستقبح مستغنى عن ذمه بخلاف هذا ، فإن صاحبه بزعمه مستند إلى شيء ، فوصف بكونه أشد الكذب مبالغة في ذمه والتنفير منه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض لخفائه غالباً ووضوح الكذب المحض" (١).

هذا ما تيسر جمعه في هذا البحث، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

***

(١) فتح الباري (٤٨١/١٠)، وانظر: فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام»، عبد القادر شيبة الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ، ٢٤٠/١٠.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

فبعد هذا العرض لموضوع الظن السيء بالله عز وجل فإني أحمد الله تعالى على تيسيره، وأسأله أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم، ثم أشير إلى أبرز نتائج البحث في النقاط التالية:

١-أن الظن السيء بالله تعالى من أخطر الأدواء القلبية والعملية التي تهدد العقيدة والإيمان في أصلهما أو كمالهما.

٢-أن حقيقة الظن السيء هي ترجيح الاعتقاد الفاسد على الاعتقاد الصحيح في حق رب العالمين.

٣-أن الظن السيء قد يؤثر في أهم أبواب العقيدة في التوحيد، والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقدر.

٤-أن نصوص الشريعة قد حذر تحذيراً شديداً من الظن السيء بالله تعالى ورتبت عليه أشد العقاب وأعظم النكال.

٥-أن الظن السيء بالله مما يتصف المكلف المقصر الذي يساء عمله، كما أن حسن الظن لا يناله إلا المؤمن الذي حسن عمله.

٦-أنه يمكن السلامة من الظن السيء بالله تعالى بسؤاله تحقيق الإيمان بكماله في توحيده وأمره وفعله، ومعرفة الله حق المعرفة، وبمداومة العمل الصالح، وتغليب الظن الحسن في حق العباد.

٧-أن أهل السنة والجماعة أبعد الناس عن الظن السيء بما تشهد عليه تقريراتهم وبما يشهد عليه منهجهم في العقيدة والسلوك.

أسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يرزقنا حسن الظن به في أمورنا كلها والتوفيق لما يحب ويرضى، وأن يجنبنا سوء الظن به والبعد عما يبغض وينهى عنه.

فهرس المصادر والمراجع

١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم، طبعة عالم الفوائد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ.

٢- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح الفوزان، طبعة جامعة الإمام بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه لمحمد بن عثمان المارديني، تحقيق د. عبدالكريم النملة، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة ١٩٩٩م.

٤- التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، طبعة مكتبة لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٥- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير، طبعة دار الفكر بلبنان، بدون تاريخ الطبع.

٦-التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ، طبعة دار التوحيد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٧-تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، طبعة دار الصميعي بالرياض ١٤٢٨هـ.

٨-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٩٤ م.

٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، طبعة دار الكتب العلمية بلبنان، ١٩٩١م.

١٠-الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي، طبعة دار إحياء التراث بلبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

١١-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.

١٢-الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، طبعة دار المعرفة بالمغرب، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٣-حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول للشيخ عبدالله الفوزان، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى.
١٤-زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، طبعة مؤسسة الرسالة بلبنان، الطبعة السابعة ١٤١٥هـ.
١٥-سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث، عناية محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة المكتبة العصرية بلبنان، بدون تاريخ الطبع.
١٦-سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، عناية الشيخين أحمد شاكر ومحمد عبدالباقي، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.
١٧-سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النيسابوري النسائي، عناية الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة بلبنان ١٤٢١ هـ.
١٨-شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة دار السلام بمصر، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
١٩-عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك للشيخ صالح الفوزان، بدون بيانات الطبع.
٢٠-فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي وتعليقات الشيخ عبدالعزيز بن باز، طبعة دار المعرفة بلبنان، طبعة ١٣٧٩ هـ.
٢١-الفروسية لان القيم، تحقيق مشهور آل سلمان، الناشر: دار الأندلس بحائل، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
٢٢-الفروق اللغوية للحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق الدكتور محمد سليم، طبعة دار العلم، مصر، بدون تاريخ الطبع.
٢٣-القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، طبعة مؤسسة الرسالة بلبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ.

٢٤-الكليات لأيوب بن موسى الكفوي، طبعة مؤسسة الرسالة بلبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

٢٥-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم البغدادي، طبعة دار الكتاب العربي بلبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

٢٦-المسند للإمام أحمد بن حنبل تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط والدكتور عبدالله التركي، طبعة مؤسسة الرسالة بلبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

٢٧-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج النيسابوري، طبعة دار إحياء التراث العربي بلبنان، بدون تاريخ الطبع.

٢٨-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي، طبعة دار الكتب العلمية، بدون تاريخ الطبع.

٢٩-معالم التنزيل لحسين بن مسعود البغوي، طبعة دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٠-نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد العثيمين، مطبوعات مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، دون بيانات.

٣١-النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، طبعة المكتبة العلمية بلبنان ١٩٧٩م.

٣٢-لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، طبعة دار صادر بلبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.